يحتمل الواحد المعظم فلما التفت بقوله فصل لربك زال هذا الاحتمال قوله ولم يجئ ذلك للغايب والمخاطب في الكلام
القديم قيل اي في الضمير والا فالجمع من الاسم قد جاء في القران للواحد كما قالوا في قوله تعم فنادته الملئكة مع ان المنادى
كان جبريل عم وحده وفيه نظر لان الجمع المحلى باللام ينسلخ عنه في مثل هذا الموضع معنى الجمعية فيكون مفردا في المعنى ولا
كلام فيه ثم المراد بالكلام القديم كلام القدماء من البلغاء البدويين لا القران المجيد بدليل ما بعده قوله وانما هو
استعمال المولدين فان قلت قد جاء مثل ذلك في القران المجيد حيث قال عز من قايل يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فكيف
يستقيم هذا الحصر وحمله على الاضافي لا يدفع لزوم كون القران واردا على اسلوب المولدين ولو في بعض المواضع ولا يلائمه
من بدا ادنى مسكة قلت هو من باب تغليب المخاطب على الغايب اي اذا طلقت انت وامتك وانما خص النداء وعم الخطاب بالحكم
لانه امام امته فنداوه كندائهم او لان الكلام معه والحكم يعمهم بقي ههنا بحث وهو ان صاحب الكشاف والقاضي جوازا
في قوله تعم فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلعم واستشهد له الزمخشري بقول الشاعر فان شئت
حرمت النساء سواكم وذكر القاضي في قوله تعم ن والقلم وما يسطرون ان ضمير يسطرون راجع الى القلم والجمع للتعظيم
ان اريد بالقلم القلم الذي خط اللوح فقد وقع كلا الامرين في القران المجيد وحمله على اسلوب المولدين لا يلائمه على
ان الظاهر ان البيت الذي ذكره العلامة في موضع الاستشهاد من كلام القدماء فكيف يصح قول الشارح ولم يجئ الخ تامل
قوله طحابك البيت يقال طحا به قلبه اذا ذهب به كل شيء والباء للتعدية الطرب خفة تعتري الانسان لشدة سرور او حزن
وبعيد تصغير بعد للتقريب وهو ظرف طرب او طحا وعصر حان او حين حان على الروايتين بدل من بعيد واشار بتقييد
بعيد الشباب وعصر حان مشيب الى انه لا منافاة بين كون بعيد الشباب وكون عصر حان مشيب ظرفين لشيء واحد على
الابدال وانما يحصل الخطاب في طحابك للحبيبة اعني ليلى اذ هب بك قلب حتى يكون في قوله يكلفني ليلى التفات من الخطاب
الى الغيبة لانه مخالف للاستعمال الشايع وهو طحا به قلبه ثم الظاهر ان يكون الكاف في طحابك مفتوحة لانه وان كان خطابا
لنفسه الا ان الخطاب ليس للفظ النفس بل لمدلوله والتانيث انما هو في اللفظ ويؤيده ان العلامة صرح في قول الشاعر تذكرت
والذكرى تهيجك زينبا بان التاء مفتوحة خطابا للنفس فقول القاضي في تفسير قوله تعم فلما راى الشمس بازغة قال هذا
ربي ان تذكير المبتدا يعني هذا باعتبار الخبر بمعنى ربي محل نظر اذ لا مقتضي لتانيث المبتدا حتى يحتاج الى حمل
التذكير بالنظر الى الخبر فان الاشارة الى ذات الشمس والتانيث انما هو في لفظها ولذا يقال لها مونث لفظي والجواب ان يقال

١٧١

١٠٩

اذا اشتهر المسمى في ضمن المذاق لفظ مونث عليه يلاحظ ذلك المسمى في ضمن هذا اللفظ فبهذا الاعتبار يعتبر التانيث
في الاشارة اليه ورجع الضمير ولذا قال تعم في الاية المذكورة فلما افلت واحتاج صاحب الكشاف الى توجيه تذكير
اسم الاشارة في قوله تعم ذلك الكتاب مع كونه اشارة الى ذات السورة بانه باعتبار الكتاب قوله او على انه خطاب
للقلب قيل اعتبار الالتفات في تكلفني بالنظر الى طحابك لا يجامع اعتباره بالنظر الى القلب المذكور اذ من شرط الالتفات
صحة اجرائه على الظاهر وهو مفقود ههنا لانه لما اعتبر خطاب القلب في تكلفني لم يمكن ابقاء الكلام على اسلوب طحابك
اذ يكون التقدير حينئذ تكلفك على ان يكون الخطاب في تكلف للقلب وفي الكاف للنفس وهو ممتنع واجيب بان الشرط صحة
اجرائه على الاصل في الجملة وههنا يمكن ذلك على تقدير رجع التفات القلب الى اصله وان لم يمكن بدونه فافهم قوله
وقد شط وليها جملة حالية والمعنى تكلفني وصلها والحال انه بعد قربها او ايام قربها على حذف المضاف والخطوب
جمع الخطب بمعنى الامر قوله حتى اذا كنتم في الفلك الاية فايدة الالتفات في قوله وجرين بهم المبالغة كانه تعم يري
حالهم غيرهم ويعجبهم منها ويطلب الانكار عليهم قوله والله الذي ارسل الرياح الاية فايدة الالتفات في فسقناه
التعظيم لانه فعل عظيم لا يقدر عليه الا ذو القدرة الباهرة اذ لم يستعمل في كلام البلغاء صيغة الجمع في الغايب للتعظيم
حتى يتاتى هذا المطلب من غير التفات بان يقول فسقوه قوله ان يكون المخاطب بالكلام اي من يلقى اليه الكلام ويلقاه
من المتكلم سواء كان في الكلام حرف الخطاب ام لا واعلم انه يلخص مما ذكره الشارح ان في الالتفات اربعة مذاهب ووجه
الضبط ان يقال الالتفات اما ان يشترط فيه سبق التعبير بطريق آخر او لا الثاني مذهب الزمخشري والسكاكي ومن تبعهما
وعلى الاول لا يخ اما ان يشترط ان يكون التعبيران في كلام واحد او لا والاول مذهب بعض الناس وعلى الثاني لا يخ اما
ان يشترط كون المخاطب في التعبيرين واحدا ام لا الاول مذهب صدر الافاضل والثاني مذهب الجمهور قوله ومن عند الخليفة
بالنجاح الجار متعلق بالنجاح المقدر المفسر بما بعده او بما بعده نفسه لكون الباء زايدة كما نبهت عليه في قوله تعم وما انت
علينا بعزيز اي تفي بالفوز بالغنيمة من عند الخليفة والمنادي في قوله يا ابن الخير والخليفة والتحبب الحاصل
والا وبناح السرور كانه اراد انك ذو نشاط في العطاء قوله هذا اخص من تفسير الجمهور لانه اعتبر فيه مع ما اعتبره الجمهور قيد
اخر اعني وحدة المخاطب والفايدة العامة التي ذكرها الجمهور لا تدل على اعتبارهم هذا القيد لان المخاطب الاول اذا لم يكن
سامعا للخطاب الثاني المتوجه الى غيره لم يوجد الالتفات وان كان سامعا تحقق تلك الفايدة لوحدة السامع الكافية فيها

Copyright © King Saud University